سياسي بينه وبين وزير الخارجية الاميركي كيسنجر (قبل حرب اكتوبر) ، ونقل كلاما على لسان كيسنجر معناه أن أميركا لا تستطيع أن تفعل شيئا وتضغط على اسرائيل « اذا لم يثبت العرب انهم بشر » .

واضح جدا من هـذه الأمثلـة السريعة ان حركـة الاستعمار الاميركي ـ واي استعمار ـ نحو تنفيذ مشاريعه تكون محكومة بعدة اعتبارات ، أهمها بالطبع طبيعة المشروع الاستعماري ومـدى ملاءمته للمصالح الاستعماريـة ، ثم طبيعـة الارض السياسية التي سينفذ عليها المشروع ، وطبيعة القوى السياسية المتحركة على هذه الارض ، ومدى قبولها أو رفضها للمشروع ، ومدى امكاناتها على الرفض .

ولو نظرنا الآن الى اتفاقيـة سايكس ـ بيكو التـي اقتسمت بموجبها بريطانيا وفرنسا مناطق النفوذ في البلاد العربية ، لرأينا أن الجرأة الاستعمارية في رسم مثل هذا المشروع لا يوازيها الا مستوى التفكك والضعف الذي كانت عليه الأوضاع العربية عند انهيار الامبراطورية العثمانية ، لدرجة أن المشروع ، الذي ربمـا وجد في ذلك الوقت سياسيون أوروبيون يعتبرونه أجرأ مـن امكانيات التنفيذ الواقعيـة ، قد مر بسهولة نسبية ، وبرغم الوعد البريطاني لشريف مكـة بالاستقلال العربي ، مكافأة لدعم العرب للحلفاء في الحرب العالمية الاولى .

طبعا كان من مصلحة القوتين الاستعماريتين بريطانيا وفرنسا بعد ذلك محاولة كبت موجة اليقظة القومية العربية التـي فتحت عيونهـا بعد انهيار الامبراطورية العثمانية ، والتي صدمت بالوعد البريطاني ... من هنـا ولدت في خزائن وزارات الخارجية الاوروبية مشاريع الدويلات الطائفية المكملة لمشروع الدولة اليهودية في فلسطين ، والكفيلة في حال تحقيقها ، باستبدال العصبية القومية العربية التي تغطي الرقعة الشاسعة من المحيط الأطلسي الى الخليج العربي ، بعصبيات طائفية مجزأة مستضعفة ، متناحرة فينفس الوقت بما يكفي القوى الاستعمارية مؤونـة ضبطها وتسكين انتفاضاتها الممكنة .

ليس هناك أمامنا مرجع شامل ودقيق ونهائي لكل هذا النوع من المشاريع ، ولكن تاريخ الاستعمار البريطاني والفرنسي في المشرق العربي بالذات رافقته أجواء سياسية مكشوفة عن مشاريع اقامة الاوطان الطائفية ، بل وتعدى الأمر ذلك الـى محاولات مكشوفة في سورية لاقامة دويلة علوية وأخرى درزية وثالثة سنية ، بالاضافة الـى التلويح المتكرر بوطن قومي مسيحي في جبل لبنان ، وبالاضافة الى التأسيس الفعلي للوطن القومي اليهودي في فلسطين .

واذا كانت الاحاديث عن مثل هذه المشاريع المجنونة قد انحصرت طيلة فترة المد الوحدوي التقدمي في الوطن العربي ، في الاهتمام بتاريخ الاقطار العربية في النصـف الأول من القرن العشرين ، واذا كانت المحاولات الاسرائيلية لعزل الدروز العرب في اسرائيل عن المجموعة العربية وجعلهم يكونون مجتمعا عربيا منفصلا ، تبدو لنـا في فترات المد الوحدوي التقدمي محاولات سقيمة ومضحكة ومستحيلة ، فان كل هذا الجو المجنون والمتخلف من المشاريع الاستعمارية يطل علينا اليوم من خلال الازمة اللبنانية المستعصية ، حتى أن أحد كبار المسؤولين العراقيين الذي قدم الى لبنان لمحاولة فهم أدق للأزمة اللبنانية ، تحدث للمسؤولين اللبنانيين الذين قابلهم (كما نقلت الصحف) عن وجود محاولات لتقسيم العراق .

ولو نحن قارنا بين ذروة من ذرى المد الوحدوي التقدمي ، عندما كانت الوحدة بين